# درس للزعماء في سيرة زعيم

للأستاذ سعد الأفغاني

في حياة خالد بن الوليد الحافلة بالبطولة والرجولة ، درس للصغير والكبير ؛ غير أن ما يحيط بنهضة العرب اليوم من تناحر على الغنائم ، والمعركة لما تنته بعد ، يحتم أن نعرض لعبرتين في سيرة الفاتح العظيم ، فيهما درس بليغ ، ينتفع به من في قلبه حبة خردل من إخلاص . وكذلك التاريخ أيها القارئ يسعفك كلما كلب الزمان وحرب العدو ، ولن تعدم منه أبداً سراجاً يضيء حاضرك ويبصرك بالسبل وينجح لك المساعي ، ويريك بم كان تقدم المتقدمين وفوز الفائزين ، وبم كان التأخر والذلة والخسران

* * *

أما الأولى من العبرتين ، فهي أن خالداً من أبطال قريش وصناديدهم ، بل هو البطل فيهم لا يعدله غيره . أظفر الله المسلمين بالمشركين يوم بدر ، فكان عليهم عار الأبد ، وأصبحوا بهزيمتهم سبة بين العرب ؛ فما قر لهم قرار ، حتى ثأليت جموعهم في أحد ، متعطشة إلى الثأر ، ثم تقع الواقعة فينهزمون أيضاً . ويريد ربك أن يصاب المسلمون بعد نصرهم ، لتكون لهم الهزيمة بعد الظفر درس الأبد ، فلا يخالفون رئيساً بعدها أبداً . ثم لا يفطن إلى خلو الجبل من الرماة إلا خالد اليقظ ، فيحيط بالمسلمين — وهم لاهون بالغنائم — من خلفهم ، وينتعش المشركون حينئذ ، وتكون المصيبة في المسلمين بالغة ؛ فكانت هزيمتهم ، وكانت الفرحة الكبرى لقريش أن ثأروا لقتلاهم يوم بدر ، ورفعوا عن أنفسهم العار ، وكان أن ذهب بفخر هذا اليوم كله خالد .

هذا القائد الباسل الذي طارت شهرته في أهل الشرك والتوحيد على السواء ، وقع في قلبه أن الإسلام حق ، فرمى بالقيادة والشهرة جانباً ، ووطن نفسه على الأذى يناله من قريش ، الذين سيحنقون أشد الحنق ، وقصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليقبله مسلماً في المسلمين ، وقد سأله في طريقه عمرو بن العاص : « إلى أين يا أبا سليمان ؟ » فقال : « والله قد استقام الميسم ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم ؛ فحتى متى ؟! »

ألا يجد رؤساء الناس وزعماؤهم في هذه عبرة ودرساً ، ألا يدعون نصرة أهوائهم وإرضاء نفوسهم ؛ ليقبلوا على أمر تبين رشده فيتبعونه؟ إن الناس لينظرون إليهم ، وإن الله لسائلهم عن الوطن والدين يتجرون بهما ، وعن العامة يلعبون بعقولهم ، وقد أعطوا الله موثقاً : ليكونن مع الحق حيث كان ، وليقومن بنصرته وحده لا نصرة نفوسهم ونزغاتهم . جمعهم وطن واحد فراموه أجزاء وأشلاء ، واستمدوا الأجنبي المتربص بهم ليحفظ عليهم رياساتهم الواهية ، فنال هذا فريسته بسلاحها ، وكانت هذه الأثرة الدنيئة أختك بالبلد من كل غارة . ثم انتظم أمورهم دين واحد فأبوه إلا شيعاً وفرقاً وطرقاً ، فبادر الأجنبي يعلن حمايته لكل فرقة على حدة ويعترف باستقلالها عن أختها ، ويبالغ في تشجيعه على التفرق ، وفي تفكيكه عرى الطائفة الواحدة حتى عم البلاء وطم . وها نحن أولاء نرى في قطر عربي صغير كسورية ، ثبتاً حافلاً بأسماء طوائف لو وزعت على أهل الأرض ما نجت من شر فتنتها بقعة ، وفي كل يوم فرقة جديدة وحماية سريعة[1]

إن خالد بن الوليد طوح بالقيادة والفخر والظفر والمجد وأقبل على النبي واحداً من المسلمين ، ونحن لا نكلف هؤلاء السادة طرح شيء فستبقى عليهم زعاماتهم ، وسيرجعون أعز ما كانوا إن جندوا أنفسهم في خدمة الحق والخير

(١) لم يكن يوم الاحتلال الفرنسي للشام من الطوائف غير المسلمين والمسيحيين واليهود ، فما زالوا ينبثون من الفروق الضئيلة ويتفخون فيها حتى صار المسلمون بفضلهم طرائق قدداً ، فهم اليوم سنية وشيعة وعلوية وجعفرية وإسماعيلية و ... وجعلوا لكل مفتياً وقاضياً ومحكمة ونواباً وعدداً من الوظائف ... وحتى مدوا أيديهم إلى ما يسمى بالطرق نربطوها بشخص المفوض السامي بقرارات صدرت بما يشبه السر ، وما راع الناس إلا محام في محكمة منذ شهور يستند إلى قرار المفوض السامي بقوله في دعوى للأوقاف الاسلامية على شيخ مولوية : « إن الطائفة المولوية لا علاقة لها بالأوقاف الاسلامية ولا بالمسلمين وإن ... » فعرفنا ما حيك لنا بعد أن أطبق الفخ علينا . ومنذ عهد قريب صدر قرار للمفوض الفرنسي زعم أنه ينظم الأحوال الشخصية ، فلم يبق حرمة للشريعة الاسلامية إلا أباح انتهاكها ولا صاحب نزوة أو إباحية أو إلحاد إلا شجعه ليجهر بنزوته وينعو إليها وينفصل بها طائفة محترمة معترفاً بها تحمي بجيش الاحتلال . وفي القانون هذا عند الايجاب ما يجعل في الغد كلا من الشافعية والمالكية والحنفية طائفة مستقلة . ولا ندري أين يستقر نبأ تلك الهاوية ... هذا إلى طعنات من المبشرين بثها بكثرة في هذه الأيام في أصقاع يسودها الجهل المطبق ، وبهم أهلها فقر مدقع آلوا إليه بعد غنى وافرا بتز منهم في سنوات خلت ، ومنح هؤلاء المبشرون سلطة لا حد لها ، وما ندري كم يصمد الجهل والفقر والهوان أمام العلم والسلطان والمسلمون في نومهم يغطون ...

وأما العبرة الثانية التي يجدها الزعماء في سيرة خالد ، ففاية في إنكار النفس وبذل الروح وإماتة الهوى

أسلم خالد وأبلى البلاء الحسن في كل غزواته مع النبي ، ثم في حربه المرتدين ، وتوطيده دعائم الوحدة في الجزيرة ، ثم في سيره إلى العراق ، وانتصاره على الفرس الانتصارات الآخذ بعضها بحجز بعض ؛ فمن قهر جيوش ، إلى دك عروش ، إلى فتح حصون ، إلى خطف قواد ، إلى قتل أبطال ... مآثر لو طلب بهن الخلافة لما ساغ في العقل أن يختلف عليه فيها اثنان . ثم يبعثه أبو بكر مدداً إلى الشام ثم يكون يوم اليرموك ، وقد بلغ الروم في التعبئة غاية كيدهم وفنهم : عـدد كثير ، وشجاعة فائقة ، واستبسال واستماتة ، حتى لقد سلسل رجال منهم أنفسهم للموت بسلاسل من حديد ، وقيد آخرون أنفسهم لئلا يفروا ، ثم يكون رأي خالد توحيد العمل معلناً في خطبته البليغة المشهورة ، ثم جولات منه صادقات ، فإذا بالعدد الضخم من الروم يهوى إلى الواقوصة كالبناء المتداعي ، ثم يتصل الظفر حتى يكون يوم دمشق ، وقد ولى الخلافة عمر ، ووصل بريده بعهد إلى أبي عبيدة بالقيادة ، ويجعل خالداً جندياً من الجنود ؛ وهنا العبرة ، وهنا يبدأ الدرس :

في هذا الموقف يختلف خالد وزعماء اليوم ، أما زعماء اليوم — من أمتنا طبعاً — فدستورهم الكلمة المشهورة التي نجمت في مصر على ألسنة بعض الناس : « الحماية على يد فلان ، ولا الاستقلال على يد فلان » ، فلو كانوا مكان خالد لانشقوا بجند عظيم وحاربوا أبا عبيدة ومن معه ، ثم ظفر الروم بالفريقين معاً وارتدت الدعوة العربيـة إلى الحجاز ، ثم لا يُدرى أيكتفون أم يثبتون الجزيرة كلها خلافاً وتناحراً . وأما خالد داء الجيوش وقاهر الروم والفرس معاً ، فقد كان رجلاً فوق هذا : انضوى إلى لواء أبي عبيدة وأخلص النصح والعمل ، ولم يُر أحد أكثر جهداً وانكماشاً وبلاءً منه يومئذ أمام أسوار دمشق . لم ينم عن العدو ساعة قط ، ولا فاته من حركاته صغيرة ولا كبيرة ، فهو أبداً مقدم منطلق ، وهو إلى ذلك يقلب وجوه الحيلة ، ويعمل الفكرة كأنه لم يزل هو القائد ، حتى هداه النظر إلى نصب السلالم على السور ، فالتمس غفلة الحامية في يوم عيد فصعد عليها وطائفة من خيرة الشجعان فواثبوا الحراس ونزلوا إلى الباب فقطعوا أعلاقه بسيوفهم . وقد فتح المسلمون دمشق بحنكته ويقظته واقتحامه وحده لا شريك له في ذلك ، ولم يبال أن يكون فخر هذا الفتح لأبي عبيدة أو لغيره ؛ فما عمل خالد لزعامة ولا شهرة ، عمل لله وحده وقد رضي الله عنه وأرضى الناس . وأولئك قوم نزع الله ما في صدورهم من غل إخواناً

هذا بدء تاريخنا ، أما النهاية التي ختمناه بها نحن : فسلسلة من التفريط وتضييع الفرص ، وعبادة النفس والاندفاع مع الأهواء . في سبيل ذلك ضحى المتزعمون بخير البلاد خيراً بعد خير . لنرجع عشرين عاماً إلى الوراء فلننظر : كم مرة خسرنا مراحل في تقدم القضية لأن الحلول لم تكن على يدنا ولا باسمنا ؟ وكم مرة غششنا الناس وجهدنا أن نريهم كل حسنة ظفر بها غيرنا سيئة شنعاء ؛ وكل شر لبسناه عليهم سعادة الأبد ؟

فنجحنا — لأمر يريده الله — وقال الناس لصاحب الخير : « أنت شرير لا يصدر عنك خير ، الخير كله في حزب كذا ، وقف عليهم دون خلق الله أجمعين ... »

كان هـذا في الشام وكان مثله في كل قطر عربي ، وهو ما نرى أشباهه في جميع مرافقنا ، حيث كان تناحرنا ، وتكالبنا وبالأعلينا جميعاً . نعم ، هذا ما بلينا به في كل النواحي ، في السياسة والإدارة ، والحكم والدين و...الخ

حصرنا في أنفسنا الإخلاص وخدمة البلاد ، لنتمتع بعرض زائل ، وكتب الله علينا إثم كل مصيبة نزلت بالأمة من جراء أثرتنا وتدجيلنا ، ونحن وأولئك جميعاً ، لا نبلغ بعـد ذلك كله ، أن نكون غباراً على قدم أصغر جندي من جنود خالد .

* * *

« طلبت القتل في مظانه ، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي ، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله ، من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين ، بتها وأنا متترس ، والسماء تنهل عليّ ، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار ، فعليكم بالجهاد ...

لقيت كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ، أو طعنة برمح ، وهأنذا أموت على فراشي

حتف أنفي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء ...

إذا أنا مت فانظروا في سلاحي وفرسي ، فاجعلوه في سبيل الله »

هذه حسرة الفاتح الكبير ، الذي لم يفارق النصر موكبه ساعة قط . هذه كانت الذي ساق السعادة إلى بلدين كبيرين : العراق والشام ، تنبض باللوعة والأسى ، تثير الإجلال والحزن من أقصى مكامنهما في النفوس .

يتلهف أبو سليمان وهو يحتضر — وكل جسده إما مطعون أو مضروب أو مرمى — على أن لم يقض بين الصفين ، أو أمام الحصون ، أو في الثغور ، جندياً يتخبط بدمه الشاخب ، في سبيل إعلاء كلمة الله ، ظامئاً مجهداً مشعثاً ، يرسل من فيه شهادة الحق مع آخر نفس يخرج من صدره الحنون :

رحمك الله يا أبا سليمان ! وليس بيدك ما تمنيت ، فالله وحده يتوفى ويختار ، وما عليك ألا تموت في الساحة بين الصفين ، فما كنت لحظة من اللحظات لتفتر عن جهاد ، أو تعبئة لجهاد ، أو حديث نفسي بجهاد . ما كنت يا ابن الوليد إلا جهاداً متلاحقاً في سبيل الواجب . لقد أرضيت ربك فجعلك سيفه في الأرض ، وأرضيت رسوله فحمد أمرك ورضي عنك ، وأرضيت خليفته حتى قال : « ما على نساء قريش أن ينشئن مثل خالد » ! وعمر نفسه حين لامك لم يترك إكبارك ، ولما نزل الشام ورأى معجزاتك في الفتوح لم يملك أن قال : « أمَّر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم مني بالرجال » .

لقد كنت أمة في رجل ، فعليك الرحمة من هؤلاء جميعاً ، من كل من حارب تحت لوائك . وعليك الرحمة من النساء والصبيان والرهبان والفلاحين والمستضعفين الذين لم تكن تفتأ توصي جندك المنصور برعايتهم ، والكف عنهم ، والرأفة بهم . وعليك الرحمة من كل نسمة خلصتها من قسوة الفرس ، أو ظلم الرومان .

وليس لنا أن نقول بعد تزكية الله ورسوله وخليفته ، فما رأت جيوش الرحمة والهداية قائداً أيمن نقيبة منك . ولئن تصرمت حياتك التي كانت نفعاً كلها ، وعوضت حياة خيراً منها ، فإن خير أعمالك متصل عميم إلى الأبد . ولا يعلم إلا الله كم نفعت سيرتك بعد مماتك ، وكم حفزت هماً خامدة وعزائم خائرة

ولقد جاء بعدك أناس كثيرون فبذلوا أرواحهم ودماءهم محامين عن الحق ، فخلفوك في إرخاص الروح . ولا تزال نتلو متمثلين ولله الحمد : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » ولا تزال الأرض من المغرب الأقصى إلى طرابلس إلى فلسطين إلى الهند ، تنبت الشهداء ، ولا يفتأ الدم الطاهر يجري أنهاراً في سبيل الحق ..

ولكن أحداً من الزعماء لم يخلفك في إنكار الذات وإهانة الهوى وقهر النفس ، ولم يذكر التاريخ بعدك قائداً فعل فعلك يوم اليرموك أو يوم دمشق .

« دمشق » سعيد الأفغاني


# الرجل والغدد الحيوية في الجسم

على الشاب إذا تجاوز الثلاثين من العمر أن يحافظ على الانسجام بين جميع قوى جسمه لأنه إذا اختل مفعول عضو واحد ضاعت جميع قوى بقية أعضاء الجسم

إن الغدد هي مصدر الحياة والقوة والنشاط في الجسم ، فاذا عملت بانتظام أوجدت الانسجام والاتزان بين جميع أعضاء الجسم وشعر الانسان بقوة ونشاط.

فالواجب ان لانترك هذه الغدد أو نهملها فتنشف ولا تعود قادرة على القيام بوظيفتها الحيوية المهمة . وعلى الرجل العاقل أن يغذي الغدد ويتعهدها بمقويات نافعة مضمونة من تحضير معامل معروفة بكرامتها ومشهورة بنزاهتها

إن الدواء الذى يقول لك أصحابه إنه يعطيك نتيجة سريعة هو دواء كاذب مضر — والدواء الذي يقولون لك إنك ترى النتيجة حالا بعد استعمال الدواء أو بعد ساعة أو يوم أو يومين إحترس منه لأن له نتيجة مضرة ورد فعل بطال جداً . وتأكد أن الدواء الذى ينفعك مؤقتا يضرك ويضعفك ويعود على صحتك بشر العواقب لأنه سم قاتل .

نحن نقدم لك دواء جديداً اسمه فيدا — جلاند تحضير معامل التريس الشهيرة في لندن ونحن نقول لك أن هذا الدواء يعيد القوة والنشاط إلى غددك ولكن لابساعة أو يوم بل عليك أن تاخذه لمدة واحد وعشرين يوما على الأقل وبعد هذه المدة ترى النتيجة لأن فيدا — جلاند هو دواء وغذاء للغدد والأعصاب




ونحن نضمن لك أن هذا الدواء نافع وليس له رد فعل على الاطلاق

فيدا — جلاند هو خلاصة الغدد الطازة — هو غذاء للغدد والأعصاب فتى تغذت الغدد بخلاصة الغدد الطازة تعود إلى قوتها ونشاطها وتعمل عملها في الجسم فيعود الجسم إلى حالة الشباب والعافية والنشاط .